التنمية الاجتماعية للطوارق: محاولة لتثبيت الاندماج الوطني وتعزيز الأمن المجتمعي الجزائري

Social development of the Tuareg: an attempt to stabilize national integration and strengthen Algerian community security

عموري نسيمة *AMOURI Nassima*

جامعة الجزائر3، الجزائر ، amouripolitique84@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2023/01/27 **تاريخ القبول:** 2023/03/23 **تاريخ النشر:** 2023/04/01

ملخص:

يهدف هذا المقال الى إبراز أهمية السياسات التنموية الموجهة للمناطق الجنوبية و التي تتميز بتركيبة سكانية متنوعة عرقيا ولغويا مكونة من القبائل العربية و الأفارقة بالإضافة للطوارق،حيث يجمعهم اتصال تاريخي وثيق، و في اطار سعي الدولة الجزائرية لإعادة تشكيل علاقة المواطن بالمؤسسات الحكومية لتعزيز الاتجاه اللامركزي، فقد تم تبني مطلب التنمية الاجتماعية الشاملة في مناطق تواجد الطوارق للحفاظ على عامل التماسك السوسيو-ثقافي من خلال صياغة استراتيجيات لتحقيق الوحدة الوطنية من جهة، و بلورة نمط جديد للتعبئة الجماهيرية من جهة أخرى اعتمادا على مشروع الحامل الاجتماعي و النخب المتنوعة و تبني سياسات اعتمدت بالأساس على آليات تدفع نحو إدماج مجتمع الطوارق في النسيج المؤسساتي و السياسي والثقافي الوطني مما يعكس نجاعة مخرجات صانع القرار الجزائري عبر تمريره لمطالب الطوارق عبر مختلف قنوات الاتصال المتاحة من أحزاب سياسية و جمعيات ثقافية و فنية، و ذلك على المستوى الجهوي و الوطني حفاظا على تماسك الأمن المجتمعي الجزائري .

الكلمات المفتاحية: *التنمية الاجتماعية ؛ الاندماج الوطني ؛ الأمن المجتمعي؛ الطوارق .*

Abstract:

This article aims to highlight the importance of the development policies of the Algerian State, which are of a social nature and aim at achieving national unity within the framework of cultural diversity to integrate the Tuareg socially and politically through policies that have succeeded in integrating the road component into the institutional, political and cultural fabric, This reflects the effectiveness of the Algerian decision maker's outputs, with strategies have been formulated to achieve national unity on the one hand and to develop a new pattern of mass mobilization on the other hand, based on the project of social factor and various elites by adopting policies based primarily on mechanisms that promote which reflected the passage of Tuareg demands through various channels of communication available from political parties and cultural and artistic associations at the regional and national levels, in order to maintain the cohesion of Algerian community security.

Keywords: *Social development; national integration; community security; Tuareg.*

* المؤلف المرسل: عموري نسيمة ، amouripolitique84@gmail.com

مقدمة:

ينتشر الطوارق عبر مساحة واسعة على تخوم الصحراء الإفريقية الكبرى والتي تضم كافة دول المغرب العربي الخمس وأربع دول افريقية أخرى وهي كالآتي: مالي والنيجر وبوركينا فاسو وتشاد إلا أن الغالبية منهم تتمركز أساسا في جمهوريتي مالي والنيجر وفي الجزائر وليبيا، أما في الجزائر أُعتبرت منطقة انتشار الطوارق من البؤر ذات الجغرافيا السياسية البالغة الحساسية أمنيا، حيث يُعد التعامل مع المجموعة الطارقية أمراً بالغ الأهمية خاصة في ظل التحولات الاقليمية في المنطقة المغاربية ومنطقة الساحل الافريقي التي يسودها التوتر لا سيما في مالي والنيجر وليبيا المصنفة كدول هشة، وفي هذا الإطار يسعى صانع القرار الجزائري إلى العمل على تكثيف عمليات الاصلاح التي تتوافق مع خصوصية المجتمع الطارقي، وذلك من أجل إدماجهم لسد الفجوة والهوة في مجال التطور والتحديث من خلال تنمية اجتماعية شاملة لمواجهة تحديات الأمن المجتمعي الجزائري.

وفي هذه المداخلة سنحاول الاجابة عن الاشكالية التالية: كيف يمكن تحقيق التنمية الاجتماعية للطوارق بشكل يحقق الاندماج ضمن نسق الدولة الوطنية على نحو يؤدي إلى تعزيز الأمن المجتمعي الجزائري ؟

وتتفرع عن هذه الاشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية:

- ما هو مفهوم التنمية الاجتماعية والاندماج الوطني والأمن المجتمعي ؟
- ما هي أبرز الخصوصيات الاجتماعية والثقافية للمجتمع الطارقي ؟
- ما هي آليات تحقيق الاندماج الوطني للطوارق في سياق تنمية اجتماعية شاملة لتعزيز الأمن المجتمعي في الجزائر؟

وللإجابة عن الإشكالية حددنا فرضية مفادها:

• كلما انتهجت الدولة الجزائرية سياسات تنموية ذات طابع اجتماعي يهدف إلى تحقيق الوحدة الوطنية في إطار التنوع الثقافي لإدماج الطوارق اجتماعيا وسياسيا، كلما انعكس ذلك إيجابا على تفعيل آليات المشاركة والتمثيل الوطني بشكل يعزز الشعور بالانتماء للدولة الوطنية في إطار عقد اجتماعي وسياسي واقتصادي يحصن الأمن المجتمعي.

- **أهمية الورقة وأهدافها:**

✓ إبراز جهود صانع القرار الجزائري في سعيه لتحقيق الاندماج الاجتماعي والسياسي للطوارق من خلال آليات المشاركة والتمثيل الوطني في المؤسسات الرسمية وغير الرسمية.

✓ تثمين الطرح الثقافي الطارقي وترقيته من خلال مشاريع التنمية المحلية والمحافظة على المؤسسات التقليدية العرفية المتمثلة في الأمانوكال كعنصر للتواصل مع الدولة.

✓ إبراز الدور الإيجابي للزعماء التقليديين للطوارق في تأمين الحدود الجزائرية لإدراكهم العميق لخطورة الأحداث في دول الجوار.

- **المنهج البحثي والمداخل المقترحة:**

اعتمدنا في هذه الدراسة على أحد أدوات المنهج التاريخي من خلال التأصيل للبناء الاجتماعي الطارقي في الجزائر كذلك استخدمنا منهج دراسة الحالة من خلال استنادنا على تحليل دور صانع القرار الجزائري في تطبيق السياسات والآليات التي ساهمت في إنجاح مسار إدماج الطوارق في النسيج المؤسساتي والاجتماعي والثقافي الوطني.

1. تحديد المفاهيم: التنمية الاجتماعية، الاندماج الوطني، الأمن المجتمعي:

أ- **التنمية الاجتماعية:** ظهرت قضية التنمية بعد الحرب العالمية الثانية كأحد أكثر القضايا إثارة للجدل سواء على المستوى الفكري أو جانب الممارسة العملية، خاصة في دول عالم الجنوب التي واجهت تحديات صعبة فور حصولها على الاستقلال السياسي هذا ما أدى الى تمخض مفهوم التنمية بوصفه الأداة المحورية والآلية التي ستمكن المجتمعات الحديثة الاستقلال من تجاوز واقعها المتخلف نحو آفاق التنمية والتقدم والرفاهية على نحو أفضل (نوري، 2017، ص 299).

وقد تعددت الاتجاهات ووجهات النظر حول مفهوم التنمية فهناك من ربطها بالبعد الاقتصادي وآخر حاول ربطها بالبعد الانساني والاجتماعي وأيضا البعد الثقافي والأخلاقي والسيكولوجي، وتعود هذه الاختلافات في كون أن كل فريق ركز محاولاته حسب تخصصه في وضع مفهوم التنمية (فوزي، 1994، ص ص 284)، وبذلك فتُعرف التنمية على أنها:"عملية واعية وموجهة لإيجاد تحولات هيكلية تؤدي إلى تكوين قاعدة وإطلاق طاقة إنتاجية ذاتية كاملة، حيث يتحقق بموجبها تزايداً منظماً في متوسط إنتاجية الفرد وقدرات المجتمع ضمن إطار من العلاقات الاجتماعية القائمة على الجهد والمكافأة، مع تعميق متطلبات المشاركة بهدف توفير الاحتياجات الأساسية من خلال توفير ضمانات الأمن الفردي والاجتماعي والقومي (الكواري، 1984، ص ص 70-73).

أمّا التنمية الاجتماعية فتُعرف على أنها: تلك العمليات المتشابكة التي يتم عن طريقها توفير المناخ المناسب للمواطن من حرية وعدالة وطمأنينة وتكامل ومشاركة ورعاية واستقرار لكي ينمو إلى أقصى ما تسمح به إمكانياته ولكي يتكيف ديناميكيا مع المجتمع الذي يعيش فيه، ويحدث به من تغيرات يراها مناسبة بالأساليب الديمقراطية في حدود النظام (النوري، 1990، ص 396). كما أن التنمية الاجتماعية تمثل نوعا من التحرك الاجتماعي الواعي المنظم والمنسق على مختلف الأصعدة المادية والمعنوية نحو الأفضل إنسانية (نوري، 2017، ص 310). وهنا يتضح لنا وجود أربعة عناصر أساسية للتنمية الاجتماعية وهي:

- الحركة الإرادية نحو هذا الهدف الإنساني.
- التنسيق والتنظيم بين الجوانب المادية والمعنوية.
- الاجتماعية في التحرك، بمعنى أن أي جزء من الأجزاء المكونة للبنية الاجتماعية جميعاً يجب أن يساهم في هذا التحرك وينمو من خلاله .

ب - **الاندماج الوطني:** وهو عملية اجتماعية بالأساس تُعنى بتكوين جماعة أكبر بالتحام جماعات فرعية أصغر حيث تتضمن تلك العملية وحدة الأعراف والقوانين والنظم الادارية، والتي توجه حركة الموارد والأشخاص والأفكار وقد لا يتطلب الاندماج وجود معاملات كثيفة بين المناطق والسكان داخل الجماعة المندمجة ولكنها تظل مع ذلك تؤكد وحدة الجماعة (سعيد، 1989، ص199). كما يعرف الاندماج الوطني أيضا من أنه عملية

التحول من التغاير واللاتجانس إلى التجانس والاتساق من التشتت إلى توحيد الأجزاء بشكل يساعد على أدائها لوظائفها بفعالية تسمح بالحفاظ على استمرار الكل وتطوره.

وبهذا الاندماج الوطني يعنى به صهر الجماعات المختلفة عرقيا ولغويا ودينيا والتحديد الواضح للهوية القومية وتدعيم الولاء القومي، بما يعنيه ذلك من الانتقال من نطاق الولاءات والهويات الضيقة المرتبطة بهذه الجماعات إلى نطاق الولاء القومي والهوية القومية للمجتمع الكلي حيث يستخدم بموازاة عملية بناء الدولة التي تتضمن وعيا وطنيا للمواقف بشكل مستمر ومتماسك بالمشاركة بقيم و ولاءات عامة وطنية (نوري، 2017، ص 98).

ج- **الأمن المجتمعي:** ويقصد به شعور الفرد بانتمائه للجماعة والمجتمع سواء كانت أسرة أو مجتمع محلي أو منظمة أو جماعة عنصرية أو عرقية، يُمكن أن توفر لأعضائها هوية ثقافية ومجموعة قيم تطمئنهم وهذه الجماعة توفر المساندة العملية له، وتحدث الصراعات داخل الدولة الواحدة، ومن أمثلة ذلك ما حدث في "رواندا"، و"بورندي"، وفي "يوغوسلافيا السابقة"، وفي "الشيشان" حيث استخدم العنف ضدهم، وانعدام الأمن المجتمعي يؤثر سلبا على انتماءات الأفراد ويمثل مصدرا لعدم الاستقرار والتوتر، وعدم توفر الأمن المجتمعي يقدم بيئة خصبة للتطرف واختراقات الأمن القومي (الإنمائي، 1994، ص 31). وعرفه **روبرت ماكنامارا** وزير الدفاع الأمريكي: " لا يمكن للدولة أن يتحقق أمنها، إلا إذا ضمنت حدّا أدنى من الاستقرار الداخلي الأمر الذي لا يمكن تحقيقه إلا بتوفر حدّ أدنى من التنمية"(معمر، 2000، ص 17).

مما سبق نستنتج أن الأمن المجتمعي يعني تحقيق أقصى إشباع ممكن لاحتياجات الجماهير في إطار العدالة الاجتماعي التي تنبذ الصراع بين فئات المجتمع، وتوفر المناخ الملائم لكي يعيش المجتمع في إطار مقبول من التعاون والشعور بالأمن والسلام الاجتماعي الأمر الذي يؤدي إلى تربية الولاء والانتماء للمجتمع آخذين بعين الاعتبار تحقيق التوازن بين استمرارية هذه الإشباع وما تفرضه عوامل التغيير الاجتماعي، والتي تفرض وضع ترتيبات هادفة وشاملة تحيط كل شخص بالرعاية اللازمة وتوفر له سبل تحقيق أقصى تنمية وأقصى قدر من الرفاهية في إطار الحرية السياسية والعدالة الاجتماعية.

2. الإطار السوسيو- جغرافي للطوارق في الجزائر: يشهد المسار التاريخي لمنطقة شمال إفريقيا أن سكان الجزائر كانوا من أصول أمازيغية إلى غاية القرن السادس تاريخ الفتح الاسلامي ثم هجرة المجموعات الهلالية، حيث أن اللغة الأمازيغية اندثرت من مناطق شاسعة من البلد وأصبح الناطقون بها يُعدون أقلية عددية تم تسميتهم بالأمازيغ تتراوح نسبتهم ما بين 20% إلى 30 % (مناصرة، 2004، ص 112). وهنا سوف نعرج نحو المجموعة الطارقية بصفتها أحد المكونات الأصيلة للمجتمع الجزائري:

تقع منطقة الطوارق في أقصى الجنوب الجزائري على بعد 2000كلم من العاصمة ، حيث يتركزون في جبال الهقار والطاسيلي ناجر في أقصى الجنوب الشرقي كما توضحه الخريطة أدناه (قوي، 2022):

وينتسب الطوارق إلى قبيلة صنهاجة من البربر الأمازيغ وفي هذا الصدد يشير الأستاذ محمد أحمد شفيع:" أن الطوارق ينتمون إلى تمازيغت كما يسمى في الشمال الافريقي، أما الأصول فحسب روايات الأجداد التي وردت في كتبهم فهي تقول أن الطوارق من صنهاجة"، وهم مسلمون سنيون حيث كان لهم دور في نشر الاسلام، وقد ساهموا ضمن جيوش موسى بن نصير وطارق بن زياد لفتح الأندلس عندما أسسوا دولة المرابطين في المغرب والأندلس ونشروا الاسلام في إفريقيا (بوجمعة، 2020-2021، ص ص 75-76). أما لغتهم فحسب الباحث الطارقي الحاج آمي فإنهم من أصل سامي احتفظوا بهوية حضارية أصيلة وتعتبر"تماشق" لغته الوطنية وحروفها تسمى التيفيناغ، والتي تجعل الطوارق من أحد الشعوب الإفريقية النادرة كونها تمتلك أبجدية نظيفة يرجع وجودها إلى 3000 سنة ق م، وتشهد على ذلك الكتابات والنقوش التي تمثل الصحراء وإفريقيا الشمالية (بوجمعة، 2020-2021، ص 74).

ورجح بعض الباحثين في الدراسات التاريخية والأنثروبولوجية أن شعب الطوارق هم أحفاد القارامانت الذين عاشوا في سهول فزان بليبيا وهناك من يقول بالعكس بدليل أن القارامانت حسب المؤرخين القدماء كهيرودوت هم من ذوي البشرة السوداء أما الطوارق فهم بيض ثم أن الشعوب التي شاركت مباشرة في تكوين الطوارق لم يسكنوا فزان وهم قبائل هوارة واللمطة وإذناكن وإماسوفن العلاقة الوحيدة بين الطوارق والقارامنت هو تسمية الثانية لفزان وهي تارقة والتي صارت فيما بعد تسمية فرقة صنهاجة الملثمون الطوارق ينفردون باسمهم المعروف لدى الأوربيين والعرب، والتفسير الأكثر منطقية هو أن اسمهم مشتق من الكلمة الأمازيغية وتعني "الساقية" أو "منبع الماء". ومن الثابت علميا أن منطقة الصحراء الكبرى الأمازيغية كانت خصبة تتوفر على الماء، لكن الطوارق الأمازيغ يطلقون على أنفسهم "ثموهاغ "أو ثموشاغ وهما تنويعان للكلمة الأمازيغية ولغتهم معروفة بـ"تاماشيق"وهي فرع من الأمازيغية الطوارق يفضلون تسميتهم ب"إيماجيغن" أو "إيموهاغ" ومعناها بالعربية "الرجال الشرفاء الأحرار" ومعظم الطوارق يرفضون تسميتهم بالبربر لأنها تسمية مختلفة عنهم قليلا لذلك يفضلون تسميتهم ب: اكيل تمشاق أو ايموهاغ (بوجمعة، 2020-2021، ص 88).

ويقول عنهم ابن خلدون: "الطبقة الآنية من العرب صنهاجة وهم الملثمون القاطنون بالقفار والرمال الصحراوية في المجابهات والتنائف منذ دهور قبل الإسلام لا يعرف أولها"، ويضيف أنهم ابتعدوا عن العمران: "استئناساً بالانفراد وتوحشاً بالعز عن الغلبة والقهر، فنزلوا من ريف الحبشة جوارا وسكنوا ما بين بلاد البربر وبلاد السودان حجزا واتخذوا اللثام خطاما تميزا بشعاره بين الأمم"، ولدراسة البناء الاجتماعي الطارقي في

الجزائر والتي لازالت تخضع الى التنظيم القبلي التقليدي في المناطق الرعوية بينما يضعف هذا التنظيم في المدن والحواضر الكبرى بفعل الامتزاج السكاني (جابي، 2018، ص 110).

ولتحليل هذا النظام فسنربطه بدراسة النسق الايكولوجي حسب ما حدده علماء الاجتماع بمعنى دراسة التفاعل بين الانسان والبيئة وبين النظم والأنساق الاجتماعية الأخرى، والطوارق كمجتمع بدوي قبلي يقوم نظامه الاجتماعي على أساس الروابط القرابية والتي يرتبط كل منها ارتباطا تقليديا بمنطقة معينة وتعتبر هي موطنها الأصلي حيث تستغل موارده الاقتصادية من ماء ونبات لصالح أعضائها كما تقيم مخيماتها الدائمة وتزاول نشاطها الزراعي والرعوي خاصة بامتلاكهم للآبار والفجارات (جابي، 2018، ص 105). وتنقسم المجموعة الطارقية إلى ثلاث مجموعات قبلية أساسية وهي:

أ- طوارق كال أداغ : يمتد مجالهم في العمق الجزائري ب 200 كلم أما الجزء الأكبر فيقع داخل جمهورية مالي ويفصلها عن منطقة الهقار سلسلة جبال تيمسيساو، وهذا ما يفسر وجود الزعامة لهذه المجموعة القبلية الجزائرية في الجانب الآخر من الحدود مع استمرار الانجذاب الرمزي والعاطفي بفعل البعد الكبير للقسم الجزائري عن المراكز الحضرية والادارية والاقتصادية الجزائرية، بالإضافة إلى نمط عيشهم البدوي العابر للحدود، لكن مع استغلال منجم الذهب ب "أمسماسا" ساهم ذلك في حضور مرافق الدولة وتقريب الإدارة من مواطني هذه المنطقة في تينزاوتين بولاية تمنراست وتيمياوين وبرج باجي مختار في ولاية أدرار(Dida, 2001, P-p 43-59).

ب- طوارق كال آزجر: يستقرون بمنطقة الآزجر أساسا في مدن إليزي وبرج عمر إدريس وجنات ويتميزون بخضوعهم إلى زعامة تقليدية منقسمة إلى قسمين: أحدها في ليبيا والآخر في الجزائر وتأقلمت مع استحداث حدود الدول الوطنية الحديثة، وتنتسب إلى جد مؤسس واحد هو محمد آغ تين أكرباس مؤسس زعامة أوراغن في القرن 17م (جابي، 2018، ص 112).

ج- طوارق كال أهقار: يستقرون في ولاية تمنراست ومراكزها الحضرية كأباليسا ودائرة إن قزام في الحدود مع النيجر، وتتواجد هذه المجموعة الطارقية بالكامل داخل التراب الجزائري، وقد عرفت هذه المراكز الحضرية والتي تعتبر مهدا للطوارق تطوراً معتبراً بالموازاة مع تراجع نمط الحياة البدوية القديمة، ففي ديسمبر 2009 قدر عدد الساكنة في تمنراست وضواحيها بنحو 95400 نسمة من ضمنهم 727 من البدو الرحل من مجمل 200802 لكامل المنطقة وبهذا فهي الوجهة الرئيسية للبدو الرحل، وفي سبيل تثبيت المجموعات البدوية الطارقية في مناطقها الرعوية التقليدية انتهجت الدولة الجزائرية سياسات تنموية من خلال توفير المدارس والمراكز الصحية حيث ساهمت هذه السياسات بشكل كبير في حفاظ السكان على أراضيهم التقليدية واستحداث مراكز زراعية صغيرة حول الآبار المتواجدة في المسارات الرعوية المتوارثة عن الأجداد كما هو الحال في تينزواتين بولاية تمنراست وبرج الحواس بولاية إليزي أو تيمياوين في الحدود الجزائرية المالية، وهذا ما سيوثق مدى ارتباطهم بموطنهم الأصلي (جابي، 2018، ص ص 112-113).

3. آليات تحقيق الاندماج الوطني للطوارق في سياق تنمية اجتماعية شاملة لتعزيز الأمن المجتمعي في الجزائر:

ومن أجل استكمال سياسة الاندماج الوطني المنتهجة من طرف الدولة الجزائرية بغرض بناء مواطنة متساوية في ظل القانون، مما يساهم في إنجاح مسار التعايش الانسجام بين الطوارق وكل السكان القاطنين في الجنوب من جهة والهيئات المحلية من جهة أخرى، وذلك لجعلهم جزءا لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي الوطني والثقافي لهذا حددنا مجموعة من الآليات من شأنها تفعيل العملية الاندماجية للمكون الطارقي في الدولة الوطنية:

أ- ترقية وتعليم اللغة الطارقية كعامل للاندماج الوطني: شكل الطلبة الجامعيين الطوارق الذين درسوا بجامعة الجزائر العاصمة في نهاية الثمانينات وبداية التسعينيات الحاضنة الأولى في طرح النقاش لدى النخب الطارقية حول مواضيع الهوية الثقافية، حيث تشكلت فكرة تنظيم فعاليات ثقافية في دار الثقافة في تمنراست مع إنشاء فرقة موسيقية تعمل على إعادة إحياء موسيقى الطوارق، فقد حاول هؤلاء الطلاب توعية الفئات الاجتماعية لجذبهم نحو نهجهم الثقافي، ومن أبرز هذه الفرق: "إنتيدين" وهم من طوارق أضاع كانت تخاطب بشكل مباشر ضمير الطوارق لنسيان منافساتهم العشائرية ومواجهة تطور عصري قد يؤدي إلى اختفائهم، وفي مارس 1989 مع الانفتاح الديمقراطي تم تأسيس جمعية "أهال" التي انشطرت فيما بعد لتنشئ عدة جمعيات تعمل في المجال الثقافي والفني (Bellil. 1990, pp 153-162).

وبفضل محاولات الدولة الجزائرية لإشراك الطوارق في حل معضلة الأمازيغية التي كانت المحرك الأساسي في علاقتهم بالدولة المركزية حيث تم إدراج تعليم اللغة الطارقية بمنطقتي الهقار والآزجر لأول مرة في أقسام تجريبية بداية من 1995-1996 ليكون عاملا مهما آخر لاندماج الطوارق في المجموعة الوطنية، والذي تزامن مع إضراب المحفظة بمنطقة القبائل وقررت الحكومة إنشاء لجنة وطنية للأمازيغية سميت بلجنة "سيفي" باسم رئيس الحكومة آنذاك وعينت لجنة حكماء تكونت من ممثلي منطقتي الهقار والآزجر لمناقشة المسألة الأمازيغية وبدأ تعليم اللغة الطارقية بخمسة عشرة قسما بسبب الانسجام اللغوي للمنطقة، ولذلك فترقية اللغة الطارقية سينجح في تحقيق رهانين أساسيين هما: الأول على مستوى الطوارق نفسهم وذلك لمساعدتهم على تثمين هويتهم بالاعتراف بلغتهم الأم، ولإشراكهم في مسار بناء الهوية الثقافية التاريخية للشعب الجزائري، والثاني على مستوى الدولة، فإدراج اللغة الطارقية والأمازيغية في المنظومة التربوية والاعلامية هو فرصة تاريخية لمصالحة الجزائر مع نفسها (جابي، 2018، ص ص 136-137).

ب- تفعيل دور النخب التقليدية الطارقية: بعد استقلال الجزائر قامت الادارة الجزائرية بالإبقاء على مؤسسة الأمانوكال وتعيين باي آغ أخاموخ كنائب رئيس لأول برلمان في الجزائر، وبعد وفاة هذا الأخير قامت السلطات الجزائرية باستبداله بالحاج موسى وهو نصف شقيق للباي آغ أخاموخ من جهة الأب، وكانت والدته من الايفوغاس، وهي مجموعة من الطواق لا تنحدر من سلالة الملكة تينهينان، وهنا قامت الادارة الجزائرية بتغيير نمط الاستخلاف التقليدي من الأموي إلى الأبوي الذي يتوافق مع التعاليم الاسلامية (تسعديت 2018، ص 292).

وفي عام 2006 وعلى إثر وفاة الأمانوكال الحاج موسى تم انتخاب أدبار أحمد حسب القواعد التقليدية والعادات التاريخية ليتمتع بحق في الزعامة بحسب التقاليد المعمول بها، لكن المجموعات العربية كان يفضلون الاستخلاف عن طريق النسب الأبوي الذي يتلاءم مع الاسلام، وهنا تدخلت الدولة في شخص رئيس الجمهورية السابق عبد العزيز بوتفليقة حيث عين ابن الحاج موسى، وهذا يُصور المقاربة التي تبنتها الإدارة

الجزائرية من خلال إدراج تغييرات ضمن البنية السوسيوسياسية للطوارق بصورة ناعمة ومرنة Bourgeot, (2010, p 8)، وعليه فمؤسسة الأمانوكال المتكونة من زعماء القبائل والزعيم التقليدي للطوارق تمثل أهم نخبة تقليدية استطاعت أن تفرض نفسها كممثل وناطق بلسان الطوارق، رغم كل التحولات السياسية التي عرفتها المنطقة، وبهذا فقد اندمجت النخب التقليدية الطارقية في حزبي جبهة التحرير الوطني والتجمع الوطني الديمقراطي كفضاء للتعبير عن مطالب الطوارق، مما يُعبر عن نجاعة سياسة المهادنة والاستيعاب التي انتهجتها السلطة حيال المؤسسات الطارقية التقليدية (جابي، 2018، ص ص 150-151).

ج- **دعم التعبير الثقافي و الفني للهوية الطارقية:** يعتبر العديد من المختصين أن لغة الطوارق "تاماشغت" قد حافظت بقدر كبير على الرصيد اللغوي الأمازيغي هذا ما شجعهم على الاهتمام بالجانب الثقافي فمنطقة الطوارق تضم حوالي 500 جمعية (جابي، 2018، ص 161)، كما تم تخصيص حيز ساعي لمدة ساعتين في الاذاعة الوطنية الجزائرية يوميا للبرامج الناطقة بلغة "تاماشغت" في 2005 ومع بداية 2010 تم تخصيص قناة متخصصة للغة الأمازيغية تتضمن برامج بكافة اللغات بما فيها "تاماشغت" (Bourgeot, 2010, p 8).

وبفضل دفع الدولة الجزائرية تنامت ظاهرة الأغنية الطارقية وازدهرت كمعبر عن الهوية الطارقية من خلال ظهور مجموعة من الفرق الموسيقية، وساعدهم على ذلك المهرجان الوطني للأغنية الأمازيغية المنظم سنويا بتمنراست ويمثل هذه الديناميكية على المستوى ما فوق وطني الفرقة الغنائية الطارقية "تيناروين" التي دخلت العالمية في 2004 بألبومها "أماساكول"، مع انتشار سريع للظاهرة الموسيقية المسماة "آلقيتارا" و"أسوف" لدى الشباب الطارقي والتي تحمل رسائل ضمنية للطواق "توماست" (جابي، 2018، ص 163). وهكذا أصبحت الثقافة الطارقية كغيرها من المكونات الثقافية الأمازيغية الأخرى تعتبر أحد أبعاد الهوية الأمازيغية للبلاد وأصبحت مسألة ترقيتها تندرج ضمن إعادة الاعتبار للهوية الوطنية الجزائرية .

د- **تفعيل دور النخب الطارقية العصرية:** ظهور نخب عصرية تزاحم النخب التقليدية هو حتمية تفرضها تطور مطالب الجماعة لدى الطوارق لكنها قليلة وتكاد تكون غائبة وهذا راجع للعوامل التالية (جابي، 2018، ص 151):

- التمدرس المتأخر للطوارق الذي يرجع لسنوات الاستقلال، أما الدراسات العليا والجامعية فقد بدأت في الثمانينيات من القرن الماضي.
- نمط العيش البدوي المعتمد على الترحال لدى قسم هام من الطوارق.
- حالة الأقلية التي يوج فيها الطوارق بسبب الازدياد العددي للمجموعات الاخرى وانخراطها في سياسة المنطقة.

ما يميز النخب الطارقية في عامتها أنها نخب متوسطة التكوين تخرجت من المدارس في العشريات الأخيرة، وتعتبر كل من السيدة تاقابو عائشة الوزيرة المنتدبة للسياحة 2015-2017، ثم السيد مرموري حسن وزير السياحة 2018 من الشخصيات الطارقية التي استطاعت الوصول للسلطة التنفيذية المركزية، كما تغيب النخب الصناعية بسبب انعدام الصناعة لصالح التجارة الصحراوية ويمكن تصنيف هذه النخب فيما يلي: (جابي، 2018، ص 153):

- أعوان السياحة والمقاولون.

- المدرسون في المركز الجامعي بتمنراست.
- منشطو الجمعيات الثقافية والرياضية.
- المنتخبون المحليون والاعلاميون .

هـ- الاهتمام بالمشاريع التنموية الموجهة للمناطق الجنوبية: يرجع اهتمام الحكومة الجزائرية بالمناطق الجنوبية لكونها تقع ضمن مجال جغرافي حساس أمنيا، وذلك يعود إلى أحداث مالي والحراك في المنطقة العربية والذي أضفى طابعاً خاصاً على هذا الاهتمام خاصة بعد انهيار النظام الليبي بعد تدخل الحلف الأطلسي، لذلك فالتركيز على المشاريع التنموية العديدة التي أنجزت في تلك المناطق ليس بالجديد في سياسة صانع القرار الجزائري اتجاه المناطق الجنوبية، ومن أبرز هذه المشاريع هناك مشروع نقل المياه مسافة 750 كيلومتراً من عين صالح إلى تمنراست، بتكلفة وصلت إلى ملياري دولار، إضافة إلى ذلك هناك مشروع طريق الوحدة الأفريقية، الذي يمتد لمسافة ثلاثة آلاف كيلومتر من العاصمة الجزائر إلى إين قزام (جنوب)، وقد تبنت الجزائر رؤية تقوم على سياسة وقائية وذلك بتوفير البديل الاقتصادي والاجتماعي للطوارق الموجودين على أراضيها عبر جمعهم في قرى ومدن جنوبها وترقية معيشتهم ومحاولة إدماجهم في الحياة السياسية. خاصة وأن السياسة الجزائرية تواجه تحدياً تمثله الحركات المتمردة في دول الجوار والتي تعتمد على نشاط مسلح متنامي في ظل فشل المؤسسات في كل من دولة مالي والنيجر، كونهما لم تقدما أي حلول للفوضى الأمنية في البلدين، وبشكل مواز قامت الحكومة الجزائرية، بتقديم بدائل لتعويض التغيرات التي طرأت على النمط المعيشي للطوارق بشكل يخدم استقرار المنطقة، ومثلت هذه السياسة اتجاه الساكنة الجنوبية مقاربة في التسيير المحلي تم الاعتماد فيه على نظام اللامركزية الادارية في توجيه المشاريع التنموية وذلك للعمل على محاولة تحقيق العدالة التوزيعية اقتصاديا وسياسيا للطوارق لخلق وتثبيت دعائم الولاء للدولة الوطنية في الجزائر بعكس الطوارق في مالي والنيجر الذين لم يجدوا بديلا أمام استمرار تدهور أحوالهم الاقتصادية وتجاهل مطالبهم من طرف حكومتي باماكو ونيامي (برقوق، 2012).

وعليه فالاتجاه نحو الاهتمام بالمناطق الجنوبية عموماً والطوارق خصوصا أخذ بعين الاعتبار الحفاظ على المؤسسة التقليدية الأمانوكال وكما أن إدراج اللغة الطارقية في التعليم الرسمي يعتبر مكسبا تاريخيا، وهذا الإجراء يحمل رمزية في غاية الأهمية بالموازاة مع تشجيع النخب الطارقية العصرية، حتى لا يشعر الطوارق بالعزلة المتزايدة في عمقهم الجغرافي الصحراوي الساحلي، وفي ظل الهجرة المتزايدة، والتي قد تهدد هويتهم الثقافية، لهذا كان لزاما من مواكبة تطورت المطالب لتصل إلى رهان تحقيق الانخراط الفعلي بالساحة السياسية الوطنية وبالفعل ازداد الوعاء الانتخابي الطارقي في الاحزاب الكبيرة ومؤسسات المجتمع المدني، وبالتالي ازدهرت منطقة الهقار بفضل المشاريع التنموية والرؤية الرشيدة لصانع القرار الجزائري.

خاتمة:

مما سبق نستنتج أن البناء الاجتماعي الطارقي مكوّن أصيل من المجتمع الجزائري، لهذا حملت الدولة الجزائرية على عاتقها منذ الاستقلال معالجة المشاكل التنموية في الجنوب الكبير من خلال برامج تنموية، والبنى التحتية التي أُنجزت من جامعات ومعاهد ومدارس ومستشفيات، ومناطق صناعية، وشبكات طرق، مما أدى إلى تقدم مؤشرات التنمية الاجتماعية بخطى سريعة، مما يؤكد على مدى اندماج الطوارق واستفادتهم من البرامج التنموية، بدليل تغيير نمط الحياة التقليدية والاتجاه نحو الاستقرار في المناطق الحضرية، مما سيؤدي

لإدماجهم سياسيا واجتماعيا، وتثبيت وجودهم من خلال تحويل البنية الاجتماعية والسياسية للطوارق بشكل يجعل نمط معيشتهم يتوافق واندماجهم في الدولة الوطنية، وذلك بفضل استراتيجيات اجتماعية وسياسية سلسة، ،وبهذا فصانع القرار الجزائري يعمل على حماية الأمن المجتمعي في ظل الوضعية الجيوسياسية الحساسة لمنطقة الساحل، وهذا لصد نظر الطوارق عن أي تقارب مع الحركات الطارقية المتمردة الموجودة في دول الجوار، بدليل رفض الطوارق الجزائريين الانخراط في هذه الحركات السوسيوسياسية باعتبارها مصدر قلق وخوف لسكان الجنوب عموما والطوارق خصوصا، بل أصبح الزعماء التقليديون لطوارق الهقار يقومون بعدة وساطات لمساعدة الدولة المركزية في تأمين الحدود وحل النزاعات الأمنية والاقليمية.

التوصيات :

لقد حددنا مجموعة من التوصيات تعزز آليات تثبيت الاندماج الوطني للطوارق بشكل يحقق انتماء جامع للهوية الوطنية و ذلك من خلال الآليات التالية:

- سياسة الاندماج الوطني جزء لا يتجزأ من مسار بناء الدولة الجزائرية الحديثة بمؤسسات فاعلة سياسيا واقتصاديا و اجتماعيا.
- إطلاق مسيرة تحديث الطوارق وذلك يتطلب مشاريع تنموية وإصلاحات تربوية وتعليمية وفكرية.
- الاستثمار في قدرات شباب المناطق الجنوبية وإشراكهم في الحياة السياسية والأنشطة الاقتصادية الموجهة لتنمية هذه المناطق لبناء الأجيال الجديدة وتشجيع التنشئة الشبابية للانخراط في العمل المؤسساتي.
- تثمين الهوية الطارقية من خلال ترقية اللغة الأم للطوارق وذلك لإشراكهم في مسار بناء الهوية الثقافية التاريخية الجامعة للشعب الجزائري.
- الحفاظ على مؤسسة الأمانوكال لتحقيق التكافل الاجتماعي للطوارق.
- الدفع نحو دعم التعابير الثقافية الطارقية الطارقية كمعبر عن الهوية الجزائرية الجامعة.
- تفعيل دور النخب الطارقية العصرية كحتمية تفرضها تطور مطالب هذه الجماعة.

قائمة المراجع:

1. الكواري،ع.خ. (1984). نحو مفهوم أفضل للتنمية باعتبارها عملية حضارية. لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
2. النوري،ق. (1990). آفاق التغير الاجتماعي والنظرية التنموية. العراق: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.
3. أمحند، ب. (2012).المعضلات الأمنية في منطقة الساحل الافريقي والاستراتيجية الجزائرية. الجزائر: محاضرة غير منشورة.
4. بوزنادة، م. (2000). المنظمات الاقليمية ونظام الأمن الجماعي. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
5. بوجمعة، و. (2020). دراسة ديمغرافية وسوسيواقتصادية للمجتمع الطارقي: دراسة في حالة أدرار، الجزائر: أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران2.
6. جابي، ن. (2018). الحركات الأمازيغية في شمال إفريقيا: النخب أشكال التغيير والتحديات. الجزائر: منشورات الشهاب.
7. طار،ه ومسيح الدين، ت.(2018). علاقة الطوارق بالدول الحاضنة: بين الاندماج والحراك السوسيوسياسي والتمرد. الجزائر: مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد 34.

8. مناصرة، ع. (2004). الهويات والتعددية الثقافية: قراءات في ضوء النقد الثقافي المقارن. الأردن: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.
9. علاء الدين نوري، إ. (2017). ظاهرة فراغ السلطة في دول عالم الجنوب: الأسباب والنتائج. لبنان: منشورات زين الحقوقية.
10. فوزي، ص. (1994). الادارة العامة في علم متغير ومتطلبات التحديث. لبنان: دار الفكر العربي.
11. سعيد، م.س. (1989). حول نظرية الاندماج العربي مجلة مركز الاستراتيجي العربي، لبنان، العدد 29.
12. تقرير التنمية البشرية. (1994). برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
13. قوي،ب (2013).استراتيجية الجزائر تجاه التطورات الأمنية في الساحل الأفريقي: https://bit.ly/4091FGX
14. BOURGEOT,A .(2010). Le lion et la gazelle: Etats et Touaregs. France : laboratoire d'anthropologie sociale CNRS.
15. Badi ,D .(2001). Le mythe de fondation des Touareg Ifoughas. France : Cahiers d'études berbère , La maison des science de L'homme.
16. Bellil ,R .(1990). Une nouvelle forme d'action : Le mouvement associatif à Tamanrasset. France :Revue du monde musulman de la méditerrané.